ضحية المال

بقلم فليكس افندي فارس شاعر دولتلو ناظم باشا والي سوريا

غار نجم الليل في بحر الصباح ... فسرى جيش الدجى منهزما
وبدا الطل على ثغر الاقاح ... مثل باكٍ للغرام ابتسما
سرق الريح على زهر الربى ... عبقات والندى قد لمعا
كنسيم الحب في روض الصبا ... يحمل الفكر ويبقي الادمعا
كحل الشرق بنور احمرا ... وشدا الطير على ملد الغصون
كحبيب باللقاء استبشرا ... بعدما ابكى النوى منه العيون
هب كل الكون من بعد الرقاد ... فاكتسى لبنان ثوبا انورا
كل شيء قد زها حتى الجماد ... يرفع الحمد الى من قد برى
في رياض الا ... كانت غادة ... تتهادى كالغزال الشارد
ومن الورد لديها طاقة ... اشبهت خد المحب الراقد
وضعتها حلية في صدرها ... جهة القلب وقالت اسفي
فسقى الازهار دراً دمعها ... وانثنت تسري بقدٍ اهيف
رجعت نحو بناء شاهق ... نطح الجو وشق السحبا
كعظيم هازيء بالخالق ... يعلن المجد ويخفي الكربا
ولجت غادتنا القصر الفخيم ... وارتقت سلمه المنعوجا
وهي تشكو لوعة الاسر الاليم ... في مكان مجده قطع الرجا

دخلت مقصورة قد فرشت ... بحرير وثمين الاطلس
اذ رأت فيها اباها ارتعشت ... مثل طير في يد المفترس
كان ذاك الاب شيخاً هرما ... نسي الله بحب الذهب
وبعينيه شرار اضرما ... من فؤاد بالضنى ملتهب
قطع العمر بحشد الدرهم ... مستلذاً عنده كل نكد
فغدا العقل به في لمم ... لا يرى من ذي الدنى غير العدد
حسب الاتجار رأس الفلسفة ... وكمال المرء ضبط الدفتر
فغدت احشاؤه منعطفة ... نحو كل عاملٍ بالمتجر

***

فتلقاها بوجه اغبر ... يضمر الشر ويبدي الحنقا
قائلاً ها قد وهى مصطبري ... بعدما احببت ذاك الاحمقا
فاتركي الوهم بعيداً وارجعي ... عن غرور ليس يجدي اربا
قد اراني الدهر ما لم تسمعي ... ليس رب الناس الا الذهبا
والذي تهوين غر جاهل ... عشق الاوهام كالطفل الصغير
ما به الا جمال زائل ... وعلوم خلتها البدر المنير
تلك يا سلمى تزيل النعما ... وتزيد البؤس في قلب الورى
وهي عندي لا تساوي درهماً ... يرفع المرء به ان عثرا
لقد اخترت (جميلاً) خدنا ... وهو يدعى شاعراً ان نثرا
فستلقين لديه الاحنا ... وترين العيش مراً مقرا
فاتركي يا ولدي هذا الضلال ... واذا سرتِ على نهج العناد
انما تبغين في ذاك المحال ... وقبولي دونه خرط القتاد

كل ذا القول وسلمى مطرقه ... كملاك من رجيم غلبا
فهمت في العين سحب مغدقه ... تعلن الضعف وتخفي الكربا
فاجابت لست ارضى بعده ... احداً اهديه قلباً جرحا
انت قد حولت ناراً وجده ... فوهى صبري وقلبي نزحا
لم تزل تطمع في بعد الجميل ... تجهد الفكرة في اهلاكه
فمضى في مهمه البعد الطويل ... كشهابٍ تاه في افلاكه
لم تزل حتى قطعت الاملا ... من جميلي من حياتي والامل
ليت عندي من لقاه عللا ... فهي خير من فؤاد مبتذل
هي خير من غرام يشترى ... كحطام زائل بالدرهم
هي خير من جمال يكترى ... لسرور سافل كالبهم
قد بلغت القصد ويلاه فما ... ارتجي من بعد ما اهلكته
يقطر القلب لدى الذكر دما ... في بقاء انت قد سودته
سافر المحبوب خلف الابحر ... طالباً في ذا بلوغ الارب
قد مضى يرجو اتباع المتجر ... ليرى منك قبولاً يا ابي
فانتظر حتى تراه راجعاً ... مالكاً من دهره ما ترتجي
لا تكن ظلما رجائي مانعاً ... علّ يأتيني القضا بالفرج
فاجاب الشيخ يا سلمى اسكتي ... فانا اولى بتدبير الامور
فرغ الصبر وماتت رحمتي ... لفتاة لا ترى غير الغرور
لست ارضى في الورى الاجواد ... لك عرساً فافرحي او فاندبي
وعلى الحالين قولي لا يباد ... هكذا يجري وهذا مأربي
وجواد عنده المال الكثير ... وهو بالاتجار ادهى رجل

ليس مثلي غيره شهماً خبير ... يتقضى عيشه بالعمل
بلغ السبعين فازداد كمال ... وله المال جمال باهر
فاذا ما تم هذا الاتصال ... يضحك المثري ويبكي الشاعر

* * *

بهتت سلمى ولم تبد جواب ... عند ذا الحكم الجريء الهائل
اذ رأت من عبث دفع المصاب ... صرخت انت لاقسى قاتل
وارتمت تبكي بوسط القاعة ... ترمق العليا بلحظ الحنق
فدوى في الليل صوت الساعة ... يرحم الماضي ويبكي من بقي
خرج الوالد عنها يلعنُ ... فجثت سلمى تناجي ربها
هجع الكل وساد الوسنُ ... وهي بالنجوى تداوي قلبها
ركعت عند صليب اقدم ... عاجه اصفر من طول الزمان
فوقه تمثال فادي الامم ... ملأ عينيه انعطاف وحنان
جنبه اظهر جرحاً احمرا ... مثل عين قد بكت بؤس البشر
ذاك تمثال الذي جاء الورى ... ومضى وهماً كطيف قد عبر
جاء من اجل الحزانى والألى ... تبعوا الحق فكانوا شهدا
فاحتسى في الارض كاسات البلا ... وبقي الانسان يشقى للمدى
ايها المصلوب ما تجدي دماك ... وقوام الكون ظلم دائم
ايها المصلوب ما معنى بكاك ... ان يكن يضحك منه آدم
طينة الانسان تهزا بالفدا ... وهي لا تدري صلاحاً من طلاح
خالت التقوى بتكرار الندا ... بابتهال في مساء وصباح
حسبت بالصوم كل الواجب ... وبتشييد صروح المعبد

وبتعزيز مقام الراهب ... وسوى ذا في الورى لم يعبد
انما حفظ حقوق الالفة ... ليس من ذوق العصور الحاضره
خرس الشعب فيا نفس اصمتي ... واخضعي عند الهيولي صاغره
كل شيء صار في حكم الحواس ... وسنا الدين بحكم الاعتياد
فغدا التقليد للتقوى تياس ... وخداع الذات رباً للعباد
جئت يا مصلوب كي تحيي الضمير ... اين ذا القصد وهاتيك الحياة
هذه الالفة ما فوق الشفير ... ما بقي من شرعها غير الرفات
قبلما جئت بمصباح الهدى ... كي تنير الارض كي تهدي الانام
كانت الدنيا كطفل امردا ... مهده الظلم ومغناه الظلام
وبنوها الفوا بيع الحقوق ... باعتبار الحكم حقاً للقوي
لم يكن للبرء مكلوم يتوق ... لم يك الظالم فيها يرعوي
لم تك المرأة تلقى عجبا ... ان يسام العرض منها والفؤاد
حسبت ذا الامر فرضاً وجبا ... فغدت تخطر ما فوق القتاد
ضحكت من نفسها اذ انها ... وجدت في اسرها بعض السرور
الفته لتلاشي حزنها ... كحمام آلف مرأى القبور
هكذا المرء بحكم الاضطرار ... كان مجبوراً باخضاع النسا
ما درت من قبلما ضاء المنار ... ان في احشاء حوا انفسا
هكذا كان الورى فيما مضى ... شرعهم يتبع اميال التراب
وبقوا حتى اتى رب القضا ... فادياً كل البرايا بالعذاب
عند ذياك الفدا هب الانام ... كل فرد طالباً حق الاخا
فتلاشي كل شرع ونظام ... واستقر المرء في وادي الرخا

انما الانسان حيوانٌ طموع ... كلما حرر يمشي مثقلا
فسراب القلب بحر من دموع ... وعلو الفكر طود من بلا

***

جئت بين الناس يا فادي الخطاة ... فاريت المرء حق الالفة
فعلا الحق لتمسي الواجبات ... في حشا الكون كنار النقمة
من يضحي اليوم حقاً دنيوي ... في سبيل الواجبات الساميه
وبقلب المال اصل ينطوي ... لفروع كزهور زاهيه
من يضحي اليوم مجداً زائلاً ... عند اقدام صديق صادق
من يبيع اليوم قلباً آملا ... لسوى دينار غر مارق
اي مرء في الورى يرضى التعب ... كي يزيل الضيم عن قلب اخيه
اي مخلوق علا اسمى الرتب ... دون ان يلقى عدواً من بنيه
اي بر اي حبر يا اله ... يترك الدنيا ولا يسعى لها
اي رأس طالب غير علاه ... اي قلب في الدنى الا لها
جئت بالتحرير يا رب السما ... كي يصير العبد مثل السيد
فغدا الكل سواء انما ... نحو مال رفعت كل يد
ولذا قد قام عجل الذهب ... كالهٍ حاكما مستعبدا
فغدا للمرء اسمى مطلب ... ان ينال المال حتى يعبدا
لم اتيت الارض يا باري الكيان ... ان يكن اصلاحنا شيئاً محال
فلكم قد ضاع بالمرء امتحان ... فبقي يخبط في وادي الضلال
يا بني الانسان بيعوا ربكم ... واتركوا المصلوب فوق الجلجله
اتركوا الحب وخلوا نفسكم ... تتلاشى في التردي المقبله

يا بني الانسان قد صار البقا ... كله يسعى وراء الكاذب
اسمعوا المال ينادي في الشقا ... كل شيء في الدنى قد لاذبي
كل شيء في ظلالي قد نما ... ونأى الحب الشريف الدائم
فشعاع الحب من نور السما ... ولذا اني عليه ناقم
لم ازل اضرمه حرباً عوان ... فغدا يبكي ذليلاً صاغرا
كل من رام الهوى امسى مهان ... وانا املك نصراً باهرا
يا دعاة الحب نوحوا في الدنى ... واعلموا اني عليكم سيد
او فبيعوا القلب في سوق الخنا ... فانا رب عظيم يعبد
ما بقي فوق الثرى غير الوداد ... عاصياً امري يضحي سؤددي
انما هيهات ان يلقى المراد ... اهله والكون امسى معبدي
.. ..
.. ..
هدأ الكون وقد ساد الظلام ... فتلاشى النور مع شمس المغيب
سكتت في الروض اصوات الحمام ... كنواح تابع طيف الحبيب
نامت الاكوان في حفظ السكون ... بعدما اتعبها طول العمل
ما بقي منتبهاً غير الشجون ... في حشا من نابه قطع الامل

* * *

من ترى هذي التي فوق السرير ... وجهها كالبدر ما بين الغمام
املاك ذلك الجسم المنير ... جاء يهدي الارض آيات السلام
ام جمال الخلد رمزاً صورا ... كفتاة حولها جند الجلال
أسرير الحب هذا ام ترى ... هيكل العشاق ام عرش الجمال

انظر الاهداب منها كللت ... وجنات قد حكت لون الورود
وجبيناً فوقه قد اسدلت ... حلقات الشعر اشراك الكبود
صدرها عن عرش عاج كشفا ... فوقه نهدان قد زانا القوام
كهلالين على برج صفا ... او كبرج فوقه فرخا حمام
برزا للخود في سن به ... تحسب المرأة طفلاً يلعب
زمن كالطير من طلابه ... تهرب الغادة ممن يطلب
زمن يزهو به زهر المنى ... فتخال المرء فيه عزبا
تحسب الاكوان سكرى في الضنى ... لو ابانت من حشاها حربا
زمن ينبع فيه قلبها ... فترى في صدرها سراً خفي
تجهل الحب فيبدو حبها ... كفراش تائه مرتجف
بلغت اول مدراج الصبا ... وهي انقى من ملاك طاهر
انما الطهر على الارض هبا ... اذ تساوى ذو النهى بالماكر
.. ..
هي سلمى ذي الفتاة النائمة ... قربها يجثو الملاك الحارس
رقدت وهي تصلي باسمه ... عندما جن الظلام الدامس
هجعت والبشر يعلو ثغرها ... وبعينيها دموع كالدرر
سلمت رب الاعالي امرها ... انما التسليم لم يخف الكدر
صدرها ما زال في آن الرقاد ... بالاسى يرجف من دون انتباه
ما ترى يقلق ذياك السهاد ... نافخاً في مجده روح بلاه
هل رأت سلمى جميلاً في المنام ... تائهاً في مهمه البعد الطويل
وهو يأسى باكياً حفظ الذمام ... كغراب نادب رسماً محيل

ام درت ماذا القضا يقضي لها من زواج حل في شرع الورى
من لقاء الشيخ اذ يثقلها في شقا الايام وقراً قدرا
.. ..
وجفت سلمى فالقت كفها فوق ملجا قلبها وانقلبت
كشفت عن جسمها ملحفها فابانت طاقة قد ذبلت
طاقة الورد اذكار العاشق هبة المحبوب لما ودعا
رمز قلب في البلايا غارق فمضى في البحر كيلا يرجعا
رنت الساعة عشراً في الهدو فدوى الليل لدى رجع الصدى
فكأن الوقت لم يخش السلو بل بقي يهزا ويسري للمدى

* * *

فتح الباب المغطى بالحرير وبدا منه (جواد) يبسم
فاختشى اذذاك كالطفل الصغير عندما يلقاه طيف اقتم
سمعت اذناه صوتاً في العلا قف ولا تدنو لتدنيس الملاك
ليس هذا الوصل عقداً حللا ان يكن حلاه اهل الهلاك
ان يكن يحسبه الشرع اقتران فانا العن هذا الاتحاد
ما خلقت الحب كي يمسي مهان كي يضيع النسل في وادي المراد
.. ..
وقف الشيخ ملياً جامداً ناظراً سلمى بقلب متعب
صاح هل يمضي شقا المرأسدى وقد ابتعت الهوى بالذهب ؟
لمعت عيناه من بعد الجمود فسرى نحو الفتاة الراقده

قاطفاً زهرة طهر لن تعود كرجيم للعلي مدّ يده
.. ..
.. ..
صار مهد الحب قبراً للعفاف وكلام الوجد نوحاً باللقا
فدوى في الليل للعذرا هتاف كنواح الميت عن هذا البقا
.. ..
.. ..
غصبت شرعاً فنادى الدرهم اني اوتيت نصراً ابهرا
كل شيء عند مجدي يجثم وانا وحدي سابق المحورا

* * *

شق نور البدر جلباب الغمام فبدا في الافق قرصاً انورا
او نحود كشفت عنها اللثام حين دب السهد في عين الورى
وجه ذي الغادة يسري في السما ضاحكا اذ لا يراه احد
فغدا الروض له مبتسما قائلاً لا تختشي قد رقدوا
نام كل الناس يا ابن الاثير يا مليك الجو لا تخش الرقيب
ما بقي الا خرير في الغدير كنواح الويل في صدر الكئيب
نورك الفضي كالروح التعيس تائه بين البراري والقبور
يشبه الدر على الثوب النفيس يشبه الطل على تاج الزهور
ليس شيء كالاسى فيه الجمال فشعور الحزن سام للفؤاد
فهو للانسان مدراج الكمال وسم نفس نصرها يوم المعاد
.. ..

من هو الساري على نور القمر ... بين هاتيك المروج المزهره
هو روح من علا الخلد ظهر ... فاتى يبكي بقرب المقبره ؟
ام غريب ضاع في هذي الوهاد ... غير دار انه قرب القبور ؟
ليس ذا الساري غريباً في البلاد ... فهو يدري سبله بين الصخور
ليس ذا التائه نفساً رجعت ... من جنان الخلد كي تبكي الرفات
انه جسم بنفس فجعت ... قد اتى للرمس كي يبكي الحياة...
.. ..
سار ذا الشاب الى وسط اللحود ... وجثا عند ضريح من رخام
وبكى يهدي الولا فرض السجود ... عند مهد الروح او عرش الحمام
وبقي يبكي طويلاً راكعاً ... دون ان يبدي كلاما في النواح
غير سلمى ليتنا متنا معاً ... قبلما امسى الهوى نهباً مباح
ليتني ما عدت من تلك الديار ... حاملاً طي الحشا وقر البقا
ليتني ألحدت في لج البحار ... صاحباً للموت آمال اللقا
فلقد فارقت ارض الغربة ... طالباً بالحب لقيا وطني
وطن لاشى ثراه منيتي ... فغدا مهد الصبى يطردني
اين القى يا الهي مهربا ... من ضلال الشرع من ظلم البشر
كل شيء في الورى قد خضبا ... بدماء الحق والمال انتصر
.. ..
.. ..
.. ..
رن صوت في الاعالي يا جميل ... كن صبوراً فالجزا في الابد

ان ابني بيع بالمال القليل ... حينما جاء الورى كي يفتدي
.. ..
.. ..
.. ..

خطرات، افكار

كل خسارة تعوض الا الوقت

الكلام اللين اشد تأثيراً من اقسى الحديد

من يملك نفسه يعد اعظم منتصر

اكتساب المحبة تنقص من محبة الاكتساب

من حق المصاعب ان تزيد الهمة لا ان توجب اليأس

الفرص كثيرة ولكن الذين يعرفون انها فرص غير كثيرين

انفع للانسان ان يدرس اخلاق انسان من ان يقرأ عشرة كتب

من علم انه لا يزال جاهلاً كان ذلك بداءة علمه

لا يصلح انسان ليس له نموذج غير نفسه

من اعتنى بيومه امن شر سنته